

الصيدون المزارعون

منطقة السهول العظمى :

تمتد هذه السهول من الغابات الممتدة الى الشرق منها وحتى جبال الروكي
ن حدود المكسيك في الجنوب وحتى المنطقة شبه القطبية والارض القاحلة في
مال . وكانت هذه المنطقة في العصور المبكرة مركز صيد الحيوانات الكبيرة
ركز حضارة فولسوم ويومان وسانديا وكلوفس وبمرور الزمن اختلط بهم
ارعون الذين جاؤوهم في المناطق المجاورة الى الجنوب الشرقي من منطقتهم
توطنوا وديان الانهار ومارسوا زراعة الذرة . وبالرغم من ان جميع الصيادين
يتحولوا الى الزراعة فقد أصبحوا يعتمدون عليها وكان الصيادون يتجولون في
المرتفعة في السهول خلال الصيف باحثين عن الحيوانات ثم يعودون في
شئ الى قراهم وزراعتهم على وديان الانهار وفي حالات أخرى كان الصيادون
ون الى قرى المزارعين ومعهم الجلود واللحوم المجففة ويأخذون الذرة بدلا عنها .
اش سكان وديان الانهار في قرى تحيط بها حقول الذرة وتحصنها الاسوار وكانت
زلمهم كبيرة الحجم وتبنى من الطين ويقضي الاهالي وقتهم في القرى ولكنهم كانوا
مبون الى السهول للقيام ببعض الصيد في فصلي الربيع والخريف وكانوا
تخدمون في مثل هذه الرحلات أدوات خفيفة ويقيمون في خيام من الجلد ذات
ل مخروطي ويستعملون لنقل أمتعتهم عربة تجرها الكلاب .

وعندما عرفوا الخيول تغيرت الاوضاع في منطقة السهول سريعا وكان الجواد
وانا جديدا لان الجواد الامريكي الاصلي قد انقرض مع الفيل القديم .
لجباد التي وصلت الى هذه القارة هي الجياد التي أحضرها كورتيز Cortez
سفته التي وصلت الى تاباسكو Tabasco في عام ١٥١٩ . وفي منتصف القرن

السابع عشر كانت الخيول البرية تفرح في السهول وكانت هذه الخيول
الاربع من الخيول التي هربت من الاسبان الذين استوطنوا في جنوب غرب الق
وكانت منطقة السهول مراعي مثالية فأخذت هذه الخيول تتزايد بسرعة
واقبل الهنود اقبالا شديدا على الامساك بها او على سرقتها من الاخيرين .
وفي منتصف القرن الثامن عشر حتى كان لكل هندي في منطقة السهول جوادا
ولاول مرة أصبح ميسورا لديهم بفضل امتلاك الخيول استثمار قطمان
استثمارا حقيقيا واصبحت منطقة السهول مرغوبة تقصدها القبائل الهندية
جميع النواحي لوجود كميات لا حصر لها من الثيران كما ان امتلاك الخيول
سرعة الانتقال والصيد ووجد المزارعون الذين يعيشون في قرى مستقرة في
الانهار ان الصيد أجدى لهم وأكثر نفعا من استحضر التربة لزراعة الذرة
السبب أخذت الزراعة تضمحل ويقل شأنها .

وتنوعت الآلات والادوات فاصبحت أكثر عددا وأثقل حجما وأشبه باله
اللازمة في الحروب . وحلت الخيول في نقلها محل العربات التي تجرها ال
وأصبحت الخيام أكثر اتساعا وأكثر راحة لساكنيها وكانت هذه الخيام ذات ي
ناصع ومنزخرف بالالوان وريش الطيور وفي كل خيمة منها يستطيع عشرون
ان يناموا حول موقد النار في الوسط . وكانت لهم طريقة خاصة ذات نظام دقيق
أسفارهم فالنساء والاطفال والحيوانات التي تحمل الامتعة فوق ظهورها
توضع في الوسط يتقدمها ويمشي وراءها بعض الرجال لحراستها . اما الك
فكانوا يركبون خيولهم ويسيرون حولهم للحراسة وتتقدمهم طليعة من الك
الخيالة للاستطلاع والحماية وكانت العناية بالرحلة أثناء السفر واقامة المعسكر
نصيب النساء . وكانت القبائل في حالة نزاع مستمر بينها والخيول من أس
النزاع وأصبحت الحروب وسرقة الخيول هي الشاغل الأكبر لسكان منطقة السهول
وكان الرجال ينظمون انفسهم في جماعات للحصول على أمجاد الحروب وتتناق
فيما بينها في سرقة الزوجات والخيول . وكانت لهم رغبة قوية في الحصول
معمونة القوى الخارقة وكانت الارواح تظهر لهم في الحلم او في هيئة وحي وتمتد

صانعها عن العرب وعن الصيد وكانت قبائل الشوشون Shoshon في الجنوب
ذهب الى الكائنات الخارقة لطلب العون بطريقة الوحي . والشهبان يطلبون
حصول على القوة التي تعينهم قبل كل شيء على الفوز في الحروب والمثل الاعلى
رجل هو ان يكون محارباً عظيماً وان يسرق مئات الخيول وان تكون له زوجات
كثيرات ثم يموت وهو في عنفوان قوته .

واهم شيء في الحياة الدينية لسكان السهول هو احتفال واحد كبير يقام مرة
كل سنة ويسمونه رقصة الشمس وفي هذه المناسبة تتجمع القبائل كلها وتحضر
قبيلة معها ما يكفيها من الطعام وتمسك كل منها في مكان مخصص لها فتصبح
قبائل كلها في دائرة كبيرة قطرها أكثر من كيلو متر وكانوا يبنون لهذه المناسبة
تأ من الطين شبيها بالبيوت التي كانوا يعيشون فيها قبل حياة الزراعة وكانوا
يقيمون مذبحة يرقصون حوله رقصة مستمرة مدة طويلة حتى يصلوا الى حالة تنويم
فناطيسي يسمع الراقصون فيها أصواتا والهدف من ذلك الحصول على القوة .
كان هؤلاء المحاربون الذين يعيشون في منطقة السهول ويمتطون الخيول ويلبسون
لانس من الريش ويقطعون الطريق على المسافرين ويهاجمون عرباتهم وينهبون
والهم هم الهنود الذين خلدتهم الروايات السينمائية الامريكية وهم آخر السكان
اصليين الذين هزمهم المستعمرون بعد ان تكبدوا خسائر فادحة .

- المنطقة الجنوبية الغربية :

تشمل المنطقة الجنوبية الغربية (١١) ولايتي مكسيكو الجديدة واريزونا في
جنوب وأجزاء من ولايتي كولارادو ويوتا في الشمال . حضارة هذه المنطقة أكثر
قدماً من حضارة منطقة هضبة جبال الروكي ومناخها يختلف عنها وقد ساعد
فانها على الاحتفاظ بالمواد الهشة التي تتعرض للتلف في المناطق الرطبة .
ساعدت طريقة التاريخ بحلقات الاشجار على معرفة تواريخ أدوارها وجرت في
منطقة تنقيبات وبحوث أثرية كثيرة فأصبحت معروفة أكثر من غيرها . وتدل تلك
مغريات والدراسات على ان قدماء السكان في هذه المنطقة كانوا يجمعون البذور
سيدون الحيوانات الصغيرة وقد تسلل اليهم في الجزء الشرقي من منطقتهم بعض

السكان الذين كانوا يستخدمون الأدوات الحجرية من طراز فولسوم ويومان و
سكان هذه المنطقة منذ عصر بعيد الى قسمين مختلفين في تطورها فالذين
يسكنون في الجزء الشرقي منها كانوا من صانعي السلال الذين أسسوا الحضارة
Anazasi اما في الغرب فكانت تعيش القبائل المعروفة باسم كوشيز shise
الذين عرفوا فيما بعد باسم موكلون Mogollon وهو هو كام Hohokam
واقدم ما عرف حتى الآن من قرى صانعي السلال يرجع تاريخه الى عام ٢٠٠
ولم يكن لديهم فخار ولكنهم صنعوا سلالا فاخرة من النوع المجدول كما
نسج خيوط القنب على سداة مصنوعة من أغصان الاشجار ولم يعرفوا
واستخدموا الحربة ذات القاذفة كما فعل أسلافهم منذ ألف سنة .

وبحدود عام ٧٠٠ ميلادية عرفوا زراعة البقول وكان لذلك أثر
ازدهارهم وكانت الذرة والقرع العسلي معروفين عندهم منذ وقت بعيد و
يضيفون الى ذلك صيد الحيوانات البرية .

كانوا يسكنون في منازل محفورة أكثرها تحت سطح الارض أو في الكه
ولم يمارسوا الزراعة الا بقدر محدود ولم يكن لديهم الا القليل من الم
وبعد مرور ٢٠٠ سنة توسعوا في زراعة البقول وعاشوا في منازل ثابتة فوق
الارض شيدت من الخشب وحل القوس والسهم مكان القاذفة (الاتلل) وقد
في الصناعة وخاصة صناعة الفخار والنسيج ووصلت تجارتهم الى مسافات بعيدة
وبلغت حضارة الانازاسي ذروتها بين عامي ١٠٥٠ - ١٣٠٠ ميلادية حيث
في هذا الوقت المباني الجماعية والمساكن المنحوتة في الصخر وسميت تلك المب
الجماعية بويبلو وقد بدأوا بنشيد احدى تلك المباني الجماعية المسماة بوي
بونيتو Pueblo Bonito في سنة ٩١٩ ميلادية وانتهوا منه في سنة ٧٦
ميلادية وكان يستوعب ١٢٠٠ شخصا وكانت تحيطه أسوار لا نوافذ فيها وكان
بمشاة حصن بمصعب التغلب عليه وكانت مبانيه ترتفع على هيئة مدرجات فال
التي في الصف الامامي تبني من طابق واحد والتي في الصفوف الخلفية تبنى

ذلك وكانوا يعيشون في الحجرات الامامية ويتركون الداخلية التي لا يصلها الضوء
لغزن وفي وسط الميدان شيّدوا عددا من المباني تحت سطح الارض (كيفا Kiva)
للحياة في الصخر فكانت على هيئة كهوف تحميها كتل الحجر الرملي التي فوقها
كان كل منها صالحا للسكن ضد هجوم العدو وقد احتوى احد تلك المساكن
المعروف بقصر الصخر في الجهة المعروفة باسم ميزا فردى Mesa Verde
الى ٢٠٠٠ حجرة و ٢٣ كيفا .

وكان لاهل البويبلو تنظيم عشائري ولكل عشيرة حيها الخاص بها في القرية
لها الكيفا الخاص بها والسلطة السياسية مركزة بين المتقدمين في العمر ولديهم
ظليفتان رئيسيتان احدهما يشغلها زعيم الحرب الذي ينظم الفرق التي تخرج
لحرب والثانية يشغلها رجل الدين وهو الكاهن الاعلى . وللمطر والحاصلات
لزراعية المركز الاول في ديانتهم وأهم معبود عبوده هو اله الشمس واله الذرة .
هذا الى جانب عدد من المعبودات الثانوية التي تمثل طبقات من الكائنات . ويرتدى
لراقصون أثناء القيام بالشعائر الدينية اقنعة تمثل ارواح الكائنات يسمونها
لكاشينات Kachines ويضعون دمي لهذه الكائنات ليلعب بها الاطفال بقصد
علمهم خصائص الارواح التي تمثلها . وقسموا السنة الى فصلين فصل الشتاء
لذي تقيم الالهة أثناءه برأيهم في البويبلو وفصل الصيف الذي تقصد فيه الالهة
جبال . وفي وقت تغير الفصلين كانوا يحتفلون بعودة الالهة من الجبال احتفالا
بيرا ويلبس سكان القرية ملابس تمثل الالهة ويدخلون القرية وهم يرقصون ثم
يدخلون بعد ذلك الى الكيفات وبعد فترة يخرجون منها مرتدين ملابسهم العادية
لاله على ان الالهة بقيت في الكيفا .

وكان النافاهو يعيشون في الاصل في هضبة جبال الروكي يمارسون الصيد
بدأوا بين سنة ١٢٠٠ - ١٣٠٠ ميلادية يسرون نحو الجنوب الى منطقة البويبلو
استقروا في جنوب كولارادو وشمال المكسيك الجديدة وتعلموا من جيرانهم الزراعة
صناعة الخزف .

العيش في منازل خاصة . وبعد ان ادخل الاسبان تربية الاغنام الى تلك المناطق
امتحن النفاو حياة رعي الاغنام ومازالوا كذلك حتى اليوم . ولم يتحسس النفاو
للزراعة وربما لان الارض التي استولوا عليها كانت منهوكة القوى ولذلك لم يزدروا
الا مساحات صغيرة جاورت قراهم وفي فترة الاحتلال الاسباني للمنطقة كانت قبائل
نفاو مصدر قلق لقبائل البويبلو التي تعيش الى الجنوب منهم اذ كانوا يغيرون
عليهم في ايام الحصاد وياخذون محاصيلهم وقطعانهم ويخطفون نساءهم فاخضعهم
في عام ١٨٦٣ القوات الامريكية . وبعد هزيمتهم استقروا يرعون الاغنام ويعتصرون
الافطية وقطع الحلي الفضية .

وانقسمت قبائل الكوشيز القديمة الى فرعين بسبب اختلاف المناطق التي
استوطنوا فيها فالذين استقروا في المنطقة الصحراوية في الغرب أطلق عليهم اسم
هوهو كام والذين عاشوا في الهضبة الشرقية التي تتمتع بقدر جيد من الامطار
سمو المدكولون . وترجع حضارة هوهو كام الى عام ٣٠٠ قبل الميلاد وكانوا في ذلك
الوقت يعرفون صنع الاواني الفخارية واستخدام القوس وزراعة الذرة ويعيشون
في مساكن محفورة تحت سطح الارض في قرى مسورة وكانوا يحرقون موتاهم .
وبالنظر لجفاف المنطقة اوجد الهوهو كام نظاما للري في سنة ٧٠٠ ميلادية واستمروا
في تحسينه حتى عام ١٤٠٠ اذ كانت قنواتهم تبلغ في عرضها ٣٠ قدما وفي عمقها عشرة
اقدام وفي طول بعضها ١٥٠ ميلا . ولاشك في ان القيام بهذه الاعمال الهندسية
بواسطة آلات وأدوات بدائية من الحجر والخشب يعتبر عملا رائعا . ومن المؤكد
انه كان يسود بينهم نوع من السلطة المركزية أشرفت على تنفيذ هذه المشاريع التي
استفادت منها قرى كثيرة . وتعلم الهوهو كام من جيرانهم في المكسيك فن الحفر
في الحجر والعظم والصدف وعرفوا زراعة القطن ونوعا من لعبة شبيهة بكرة
السلة استخدموا فيها كرة من المطاط .

اما المدكولون فلم يفعلوا الا القليل نحو تقدم بلادهم شبه الجافة معتمدين
على الامطار لزراعة الذرة دون الحاجة الى اروائها وكانت أهم حرفة عندهم بعد

جماعة صناعية الاواني الفخارية وبمرور الزمن امتصت قبائل الانامارى هذه
قبائل ثم احتلتها بعض القبائل المتجولة من الاباجي .

منطقة الغابات الشمالية الشرقية :

يبدأ هذه المنطقة في شرق كندا وتمتد شمالا الى منطقة التندرا كما تمتد في
الولايات المتحدة من المحيط الاطلسي حتى السهول العظمى وفي الجنوب
حتى فرجينيا . كانت هذه المنطقة عند اكتشاف أمريكا أهلة بقبائل مختلفة (١٢)
أكثرها يسير على نظام مفكك من نظم العشيرة ولكل قبيلة منها زعيم يرأسها
معلم أركانها كانت مغطاة بالغابات التي تتوفر فيها حيوانات صيد كثيرة ولهذا
العمول على لحومها ميسورا في جميع أيام السنة وكان معظم أفراد هذه القبائل
زراعيين وصيادين في وقت واحد ولكنهم لم يهتموا بحقولهم الا عند الزرع وعند
الحصاد وكانوا يذهبون للصيد في الاوقات الاخرى . ومن الاشياء الغريبة في هذه
المنطقة وجود نظام غريب لتملك الافراد للاراضي وهو من الانظمة النادرة بين
الأمريكان الاصليين ويقضي هذا النظام بان تخصص لكل جماعة مساحة محدودة
لصيد الحيوان وأماكن معينة لصيد الاسماك فاذا ارادت جماعة أخرى الصيد في
منطقة غيرهم فعليهم ان يدفعوا أجرا مقابل ذلك ولمدة مؤقتة وكانت الارض لا تباع
بجميع الحالات .

واقوى القبائل التي سكنت المنطقة هي قبائل الايروكوى Iroquois
تألفت من اتحاد قبائلها الخمس التي كانت تعيش في المنطقة التي تحيط
بواقي نيويورك وفي المنطقة الشرقية من البحيرات الكبرى وكان هؤلاء
يتنقلون عن جيرانهم من قبائل الكونكي Algonki في تنظيمهم العائلي
فبعضهم كانوا ينتسبون الى الام وكان جيرانهم يميلون الى نظام الانتساب
الاب . وكانت العائلة الواحدة من الايروكوى تتألف من الاخوات أو بنات العم
والخاله اللواتي تربطهن ببعضهن الانتماء الى النساء وتعيش هذه المجموعة
نساء معا فيما كان يسمى البيوت الكبيرة المصنوعة من الخشب وتحتوى الواحدة
عددا من الساكن وتسكن في كل مسكن إحدى العائلات . وكانت السلطة على

تلك العائلات لا كبر النساء سنا ويؤلف أحد هذه البؤوت أو اثنان أو ثلاث
فرعا ويؤلف فرعان أو ثلاثة عشيرة واختلاف عدد العشائر في كل قبيلة وفي
الحالات كانت العشائر لها صلة قرابة في عدة قبائل وكانت العشيرة تتبع
الزواج من خارجها . ويعتبر أعضاء العشيرة الواحدة أقارب مرتبطين برابطة
وصلات القرابة الخارجية أقل أهمية من وصلات القرابة عن طريق الام وبها
الطريقة كانت القبائل والعشائر التي تنتسب الى الام أساسا متشابهة للنظم
الاجتماعي .

وكانت النساء يقمن باكثر الاعمال الزراعية بارشاد السيدة الكبرى في
فرع أو في كل عشيرة وهذه السيدة هي التي تصدر التعليمات الخاصة بالعم
وتشارك العاملات بالتعاون في أرض مشتركة الملكية وتقسم المعصولات بالنساء
بين أفراد العائلات المشتركة . والنساء كن ينظمن حفلات السمر لقضاء بعض
الوقت بالفرح والسرور والعمل الرئيسي الذي كان يقوم به الرجال هو الصيد
والاشتغال بأمور السيامية والحرب ولما كانت هذه الامور تستدعي السفر الطويل
فقد تركوا للنساء مهمة القيام بالاعمال التي تستلزم الإقامة في مكان دائم .

لقد الفت قبائل الايروكوي الخمسة عصبية سموها عصبية السلام التي اخذت
على عاتقها منع اثاره الحروب . واعتقدوا ان هذه العصبية يجب ان لا تقتصر على
القبائل التي أسستها بل ان السلام الاعظم يجب ان يعم جميع القبائل التي تحبها
بهم حتى يمكن القضاء على الحروب قضاء نهائيا . ومن الناحية العملية أصبحت
عصبية السلام أداة للفرز ومصدرا للرعب لمن كان حولها من الناس وانما
وسيلة لاجبار الآخرين على الخضوع وبمرور الزمن أصبحت عصبية الايروكوي
قوة سياسية عظيمة لعبت دورا معاديا للثورة الامريكية ووقفت الى جانب الانكليز
فاخضعهم الجنرال سوليفان في سنة ١٧٧٩ بعد ان أحرق قراهم وخيولهم ففر كثير
منهم الى كندا وعقد من بقي منهم الصلح مع المستعمرين . ويعيش الايروكوي
الوقت الحاضر في ست مناطق محدودة اقامتهم فيها بولاية نيويورك وفي اثنتين
اونتاريو السفلى وفي واحدة في وسكانسن وفي أخرى في أو كلاهوما وفي أخرى

كوبك وقد هاجر كثير منهم الى المدن للعمل في البناء وما زالت عصبتهم باقية حتى
اليوم في كل من كندا وولاية نيويورك وتعترف بها حكومة الولايات المتحدة
الامريكية وهي النظام السياسي الذي يسيرون عليه . اما في كندا فلم يعد هناك
عمل للاعتراف بها بعد ان شملهم نظام المجلس النيابي فاصبحت العصبة تعنى
بالامور الدينية .